واما الكتاب واهل العلم فانهم اذا خلوا من التنافس
والتحاسد والتماري والتماحك فربما صحت لهم الصداقة
وظهر منهم الوفا وذلك قليل وهذا القليل من الاصل القليل
واما اصحاب المذاهب والتطفيف فانهم رجرجة بين
الناس لا محاسن لهم فتذكر ولا مخازي فتنشر ولذلك
قيل الهمج رعاع واوباش ولفيف وزعانف وداصة
وسقاط وانذال وغوغاء لانهم من رقة الهمم وخساسة
النفوس ولؤم الطبايع على حال لا يجوز معها ان يكونوا في
جوحة المذكورين وعصابة المشهورين فلهذه الامور
الحايلة عن مقارها الزايغة الى غير جهاتها علل واسباب
لو نفس الزمان قليلا لكنا ننشط لشرحها وذكر ما اتى
النسيان عليه وعفا اثره الاهمال وشغل عنه طلب
القوت ومن اين نظفر بالغدا وان كان عاجزا عن الحاجة
وبالعشا وان كان قاصرا عن الكفاية وكيف يحتال في
حصول طمرين للستر لا للتجمل وكيف يهرب من الشر
المقبل وكيف يهرول وراء الخير المدبر وكيف يستعان
بمن لا يعين ويشكا الى غير رحيم ولكن حال الجريض دون
القريض ومن العجب والبديع انا كتبنا هذه الحروف على
ما في النفس من الحرق والاسف والحسرة والغيظ والكمد
والومد وكاني بغيرك اذا قراها تنقبض نفسه عنها
واشمأز من فؤاده عليها وانكر على التطويل والتهويل بها

وانما

وانما اشرت بهذا الى عذرك لانك تبسط من العذر ما لا يجود به
سواك وذاك لعلمك بحالي واطلاعك على دخلتي واستمراري
على هذا الانفاض والعوز اللذين قد نفضا قوتي ونكا مرتي
وافسدا حياتي وقرناني بالاسى وحجباني عن الاسى لاني
قد فقدت كل مونس وصاحب ومرفق ومشفق والله
لربما صليت في الجامع فلا ارى الى جنبي من يصلي معي فان
اتفق فبقال او عصار او نداف او قصاب ومن اذا وقف
الى جانبي اسدرني بصنانه واسكرني بنتنه فقد امسيت
غريب الحال غريب اللفظ غريب النحلة غريب الخلق
مستانسا بالوحشة قانعا بالوحدة معتادا للصمت مختنقا
على الحيرة محتملا للاذى يايسا من جميع من ترى متوقعا لما لا
بد من حلوله فشمس العمر على شفا وماء الحياة الى نضوب
ونجم العيش الى افول وظل التلبث الى قلوص وفي تمجيد
الصمت مر بي كلام لبعض الحكما القدما انا ازويه لك
هاهنا لا لاجدد به عليك ما ليس عندك ولكن لاذكرك
فان الادكار بالخير يبعث على الاهتمام به والبعث عليه
سلوك لطريقه قال هذا الحكيم لو لم يكن للصامت
في صمته الا الكفاية لان يتكلم بكلام يحكى عنه محرفا
فيضطر الى ان يقول ليس هكذا قلت وانما قلت كذا وكذا
فيكون انكاره اقرارا ويكون اعترافه باصل ما حكي عنه
شاهدا لمن وشى به وادعاوه التحريف غير مقبول منه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)